مليونًا من الجنيهات على الاقل ويزيد في ايراد الاهالي نحو مليوني جنيه سنويًّا . فهذه فوائد المشروع الجليل الذي قام بهِ سعادة الهمام اسمعيل سري باشا في اراضي مصر الوسطى وتلك هي عظمة العمل الذي ربما لم يسمع بهِ كثيرون من سكان وادي النيل

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

مضى زمن طويل لم أُرِد ان احرك فيهِ لسانًا او أُجري على القرطاس قلمًا اعتقادًا مني بان البرهة يمضيها الناشئ في التحرير خير منها الف مرة برهة يمضيها في المطالعة والاستفادة . وليست الغوغاء التي يخلقها المرء حول اسمهِ طلبًا للشهرة بنافعةٍ الاَّ الى حين ثم ينكشف ذلك الطلاء الكاذب فيظهر الجوهر ناقصًا معيبًا لا خلاص لهُ من السقوط . ولقد كنتُ منذ عامين احببت ان اكتب الكلمة التي انا اليوم كاتبها نصيحةً لامتي واحترامًا لدينها ولكني اعترتني الرهبة وخشيت ان استفزَّ غضبها لدعوة كنتُ لا يزال يعتريني بعض الشك في صحتها ففضَّلت ان اطويها خاطرًا في صدري وتركت للزمن ان ينضجها بعد ان تثقف وتصقل في نار البحث والتدقيق فاما هي معدن فاسد بلي في زوايا النسيان واما هي جوهر كريم يصحُّ ان يهدى الى عرائس الاذهان

والآن بعد مرور عامين طويلين قلَّبت فيهما تلك الدعوة على جميع وجوهها وعرضتها على محل النقد والمناقشة لا اجدني اخطأت الاَّ في عدم الجهر بها الى الآن مع شدة احتياجنا الى معرفتها والعمل بها لا سيما في هذه الايام التي شاعت فيها كلمة الدين من اناس اتخذوها تجارة فلم يعد يهمهم الاَّ ان ترددها افواههم صباحَ مساء وسيلة للتغرير واحتيالاً لكسب رضى العامة وشيوع ذكرهم بينها غير ملتفتين الى الخطر العظيم الذي يدفعون اليهِ الامة ودينها كما اندفعت اليهِ اوربا من قبل فكانت النتيجة وبالاً على المسيحية والمسيحيين

والذي اريدهُ بعد ذلك من كل قاريء ان يمعن النظر كل الامعان في معنى ما اقولهُ واقصدهُ فلا يحمل اقوالي على غير محملها ولا يندفع مع تيار الغضب ليرميني بما انا بريءٌ منهُ في حين انهُ لو تجرَّد برهة عن اوهامهِ التي ارتكزت في ذهنهِ ونظر في الامر بعين فكر سليم لا يدين الاَّ بما يفهم لانجلت لهُ الحقيقة ولعرف ان ما اكتبهُ اليوم اقل ما يمكن ان يقال في مثل هذا المقام

نحن والدين

قالوا ان الأُمة اذا كانت جاهلة متأخرة ثم قُدِّر لها ان تخطو الى الامام وتنهض راغبة في التقدم فلا بد لها من ادوار كثيرة طبيعية تتناوبها واحداً بعد الآخر . واول هذه الادوار ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون فلا يزالون يقرعون الآذان ايقاظاً للنائم وتنبيهاً للغافل ولا تزال الامة تغضي عن اكثر ما يقولون ردحاً من الزمان حتى يتأثر مجموعها كما تتأثر الصخرة العمياء من قطرات الماء فتهم الى السعي واتباع القول بالعمل وحينئذٍ يصح ان يقال انها نشطت من عقالها وقامت تنفض الغبار عن اكتافها ودخلت في دور آخر هو دور الحياة والعمل

فاذا صح قولهم هذا — وهو مما لا شك فيهِ — وصح ان الامة المصرية كانت ولا تزال متأخرة جاهلة — ولا اظن مصرياً ينكر ذلك — فانها الآن في الدور الاول من نهوضها ولذلك تجدها على كثرة الصائحين بينها والمنادين فيها تكاد لا تفقه كلمة من عشر كلمات يلقيها عليها الناصحون والمرشدون . وخليق بنا ونحن لا نزال في اول الطريق ان نتساءل الى اين نساق واي سبيل نتبع وهل في ما نحن سائرون اليهِ نفع او ضرر حتى لا نرمي بقصور النظر ولا نكون كالتائه في البيداء لا يعلم الى النجاة ام الى الهلاك يسير . ومما لا ريب فيهِ ان تتبُّع حركة الافكار في البلاد واستجلاء الاغراض التي يسعى اليها ارباب الاقلام هما وحدهما خير ما يؤدي بنا الى الغاية المقصودة . فلننظر الى اي شيء ترمي حركة الافكار والى اي غرض يعمل ارباب الاقلام لنعلم الى اي طريق نحن مسوقون

دُرْ في البلاد طولها وعرضها واستجلِ غوامض افكار ابنائها وسلْ كلَّ من تريد منهم عن اسباب تأخرنا وانحطاطنا ثم عن الطريق الذي يؤدي الى نهوضنا وارتفاعنا وبالجملة عن دائنا ودوائنا تجدهُ مهما اطال في الشرح وعدَّد من الاسباب لا يخرج الا حول سبب واحد تنتهي اليهِ جميع الاسباب . وهذا السبب هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ والعملُ بهِ هو الدواء الوحيد لشفائنا من كل ما اصابنا من الامراض

دع هؤلاء وراقب معلمي ابناء الامة ومربي اطفالها واستطلع خلاصة ما يبثون من النصائح والارشادات تجد ان الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان مثالاً لكل كمال ومنبعاً لكل حياةٍ واساساً لكل عمران

دع هؤلاء ايضاً وانظر الى اكثر المؤلفات التي تنشر كل يوم وحسبك ان تمرَّ عليها مرًّا لتعرف ان اصحابها وان اختلفت بينهم المنازع وتضاربت منهم الآراء متفقون تمام الاتفاق على انهُ لا رقي ولا نهوض الا بالدين . وقليل او اقل من القليل من هؤلاء المؤلفين من تعثر لهُ

على صحيفة لا تجدهُ قد ضرب فيها على نغمة الدين

دع هؤلاء ايضاً وألقِ بالاً الى الشعراء طلاَّب الخيال وعشاق الكمال تجدهم بين صغير وكبير بليغ وغير بليغ لا يهيمون الاَّ بصورة واحدة هي صورة الدين يمثلونها للافهام اله الحب ومعنى الجمال وكأنهم لولاها ما ذاقوا للكمال لذة ولا تاهوا في بيداء الخيال

دع هولاء ايضاً واتلُ ماينشر في البلاد من جرائد ابنائها ومجلاتهم سياسية وعلمية ومجونية تجدها على كثرتها وتنوع مذاهبها واختلاف اغراضها لا تهتم بشيء اكثر من المناداة بالدين ولا تكاد تتفق الاَّ حينما تتغنى بكلمة الدين . وتعجب في امر هذه الصحف انها ما ظهرت في البلاد دعوة اصلاح او ارشاد الاَّ وتشاكست فيها حتى تمرَّ الايام فلا يبقى من آثار الحديث عن تلك الدعوة الاَّ غبار ذلك التشاكس لكنها متى هبت عليها ريح الدعوة الى الدين اجتمعت كلها لساناً واحداً ويداً واحدة حتى كأنها أُفرغت في قالب واحد او كأنك اذ تطوي احداها لتتلو الاخرى لا ترى الاَّ صحيفة واحدة تعددت لها الاسماء

هذا كلهُ وكثير غيرهُ لا يتسع المقام لافاضة الشرح فيهِ يدلُّ على مبلغ تسلط الدين على عقولنا وانخداع انفسنا انخداعاً لامثيل لهُ لكل ما يأتي من جانب الدين بل يدل على استسلامنا استسلاماً اعمى الى ماضينا الذي يجب ان نبتعد عنهُ كل الابتعاد ان كنا نريد ان لا نبقى كما نحن وكما كنا جهلاء ضعفاء

ومن اغرب ما فينا اننا مع ما نحن فيهِ مما لا استحيهِ الاَّ هوساً دينياً لا تجد واحداً منا الاَّ وهو شاكٍ باكٍ من عدم اتباع الدين ونبذ قواعده فكلنا شاكٍ وكلنا مشكوٌّ وكلنا داعٍ وكلنا مدعوٌّ . وكأني بنا بعد كل ذلك الصياح وتلك الجلبة قد خرجنا من الدنيا ولا نحن استفدنا ولا الدين استفاد . بل اغرب من هذا واعجب ان اولئك الذين تسمع لمناداتهم بالدين بيننا كل يوم وكل برهة ضوضاء تصمُّ الآذان وتزعزع الجبال هم اجهل الناس بالدين وابعدهم عن اتباعهِ وما هم الاَّ متاجرين اتخذوا كلمة الدين مطية للتغرير والتضليل توصلاً الى اغراضهم بعد ان علموا انها خير ما يرضي العامة فكان من ذلك انهُ ما جدَّ في البلاد حادث ولو كان تافهاً لا يلتفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً إلاَّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين

ميراثنا الديني

حقًّا ان الانسان ليقف حيالَ تلك المحال التي شرحناها وقفة المندهش المفكر سائلاً من اين سرى الينا هذا الاعتقاد الذي ترددهُ افواهنا صباح مساء . ثم كيف اصبحنا آلات جامدة لا تكاد

نتحرك الاَّ بالدين وللدين كأنما لم يخلق الله لنا عقولاً او كأنما نحن مسخرون بلا ارادة ولا تمييز لهذا وذاك على ما اظن اسباب جمة اهمها ما ورثناهُ وتوارثتهُ العصور السالفة من الركون في كليات امورنا المعاشية وجزئياتها الى تقليد اسلافنا المعروفين بالورع والتقوى في جميع اعمالهم واقوالهم ونسبة ذلك الى الدين او نسبة الدين اليهِ . فايما كلمة او ايما حركة صدرت من رجل قريب عهد بنشأة الدين سواء اخطأ فيها او لم يخطئ وسواء راعى فيها مقتضيات الزمان والمكان او لم يراعِ اخذناها نحن عنهُ قضية مسلمةً . وما اسرع ما نلبسها ثوب الدين حتى لا يتسع فيها المجال للبحث والتفنيد . كذلك من جملة الاسباب التي آلت بنا على تعاقب الازمان الى ما نحن فيهِ انتشار بعض المذاهب المتطرفة وميل العامة الى التغالي في الدين واعتبارهِ كافلاً بكل شيء أخذاً بظواهر بعض الآيات والاقوال المأثورة كقولهِ تعالى " وما فرطنا في الكتاب من شيء " او كقول سيدنا علي كرم الله وجههُ " لو ضاع عقال بعيري لوجدتهُ في القرآن "

ولعلي لا أجد هنا اثباتاً لذلك خيراً من توجيه الانظار الى التاريخ وتعقُّب حوادثهِ . فكم من حركات دينية وقفت في وجه مكتشفات علمية صحيحة لا لعلة اكثر من تأويل فاسد او فهم سقيم . ثم كم من كلمة قيلت عفواً بل كم من حركة بدرت من بعض قريبي العهد بنشأة الدين كانت حاجزاً منيعاً ضد كثير من المبادىء العلمية الثابتة لا لسبب آخر غير انتمائها لجانب الدين . والأمثلة على ذلك جمة يملأ شرحها المجلدات الضخمة ولكني ذاكرها هنا للقارىء بعضها بالايجاز لتتجسم الحقيقة امام عينيهِ فيعلم ايُّ ميراث ورثنا عن اجدادنا الغابرين

اثبتت المدينتان المصرية واليونانية ان الارض كروية الشكل لا منبسطة كما يتوهم الناظر الى سطحها لاول وهلة ولكن هذا القول لبث لا يتعدَّى العلماء ومن يلوذ بهم الى ان جاءت المدنية الاسلامية وعرَّبت مؤلفات علماء اليونان فسرى الى المسلمين هذا القول وقامت تذود عنهُ فئة الباحثين والعارفين ولكنها لم تكد تظهر بهذا القول حتى قامت ضدها حرب شعواء الزمتها ان ترجع القهقرى زمناً طويلاً من جماعة المتطرفين المدعين التمسك بالدين اولئك الذين لم يكن لديهم من الحجج اقوى وامضى من بعض آيات ورد فيها ان الله بسط الارض فمحال بعد ذلك ان تتصوَّر اذهانهم انها كروية الشكل والاَّ لزمهم تكذيب القرآن والعياذ بالله . نعم لا انكر ان بعض كبار الفقهاء رأى ورأيهُ الحق ان لا تنافي بين الآيات واعتقاد كروية الارض لان البسط معناهُ الاتساع ولكن هذه الحقيقة لم تشع في الامة وبقيت يعتريها الشك عند كثير ممن نسميهم علماء . وكأني بنا لولا اتصال نور المدنية الغربية الينا وقيام الادلة المحسوسة من جانب هذه المدنية على صحة هذا القول لبقينا الى الآن يرتاب القليل منا فيهِ ويعتقد

اكثرنا كذبة تشيعاً للقرآن واخذاً بظاهر اللفظ في الآيات

مثل آخر — انتهت الدولة الاموية وكان الاسلام قد اتم أغلب فتوحاته ثم جاءت الدولة العباسية فاشتغلت الامة فيها بالنظر في العلوم ولم يمضِ قليل من السنين حتى برز كثير من ابنائها في انواع شتى ونبغ كلٌّ منهم في ما اشتغل بهِ وكان اهم ما اتجهت اليهِ الافهام النظر في علوم الاقدمين كاليونان والرومان والهنود والاعجام فبحثوا فيها طويلاً وارتاحت اليها عقولهم واخذوا يذيعونها بين الافراد الاَّ انهم لم يكادوا يظهرون بهذا المظهر حتى جاءتهم صيحة من جانب رجال الدين بانهم ينشرون اقوالاً تخالف ماجاء بهِ القرآن . وما اسرع ما اتهموا بالزندقة والكفر فكان من هذا الاتهام مسوغ لمحاربتهم باحراق تآليفهم تارة وتشريدهم تارة اخرى وهدر دمائهم في غالب الاحيان . وما زال امرهم كذلك حتى انطفأت نارهم واستتب لفئة التطرف وسوء الفهم الظفر باسم الدين . ولعمر الله ما للدين في ذلك من ذنب ولكن هم جهلة الاغبياء السقيم الفهم استعملوهُ سلاحاً ماضياً تخلب برقهُ جهل العامة فتشيعت اليهم . فهم وحدهم المذنبون وهم هم المجرمون

مثل آخر — ولماذا نذهب بالامثال بعيداً وها نحن منذ بضع سنوات انتشر في بلادنا مرض الكوليرا ذلك المرض الذي اثبت الطب واثبتت المشاهدات اثباتاً لا مجال للشك فيهِ انهُ من الامراض المعدية وانهُ ينتقل من الشخص الى غيرهِ بطريق العدوى . فما كدنا نسمع الاطباء يعلمون الامة ذلك وينصحون الناس باجتناب الاختلاط حتى اخذت البعض منا الريب وجعل جماعة منا يتساءلون في معنى الحديث القائل « لا عدوى ولا طيرة في الاسلام » وآخرون يعترضون بالحديث القائل « فرَّ من الاجذم فرارك من الاسد » ففريق مكذبون وفريق مصدقون ليس الاَّ تشيعاً لاحد الحديثين ودون ان يكون للبحث العلمي قيمة تلقاء هذا التكذيب والتصديق

امثلة اخرى — لو اردنا ان نستوفي ذكر امثال هذه الحوادث لطال بنا الشرح وخرجنا عما نحن فيهِ فحسبنا ما تقدم ثم حسبنا انهُ وجد في عهد المدنية الاسلامية نفر قالوا بلزوم العلوم الدنيوية للانسان لزوم الماء للنبات فصاح في وجههم آخرون يرددون قولهُ تعالى « وما خلقتكم الاَّ لتعبدون » . ثم قالوا ان قيمة الانسان في الحياة بعملهِ وجدهِ فصاحوا عليهم « الاسلام يعلو ولا يعلى » . ثم قالوا بعد انقضاء عهد الوثنية لاتحريج على تصوير الاجسام توصلاً الى معرفة علم التاريخ الطبيعي فصاحوا ولا يزالون يصيحون « كل مصور في النار » ثم اشياء اخرى كثيرة كلها على هذا القياس

هل يدهشنا بعد ذلك ان يكون مثل السلطان محمود الثاني يرى في بقاء الجنود الينكشارية على نظامهم القديم خطرًا على الاسلام والمسلمين ثم يريد ان يبدل نظامهم فيظهر امامهُ شيخ الاسلام وفي يمينهِ فتوى بان مثل هذا الاصلاح ليس من الدين بل يناقي الدين . أو هل يدهشنا ان يراد ادخال العلوم العصرية كالتاريخ والجغرافيا في عدد العلوم التي تعلم بالازهر فيضجُّ البعض منا قائلين هذا ضد الدين . او هل يدهشنا ان يقوم منا داعٍ الى تعليم النساء فلا نكاد نعلو دعوتهُ حتى ننزع بآمالنا الى الدين متسائلين هل أُمر بذلك او لم يأمر ثم يقوم قاضي قضاتنا مجيبًا فيجعل تعلم الدين فرضًا وتعلم العلم مستحبًّا مخالفًا بذلك الحديث الشريف « من اراد الدنيا فعليهِ بالعلم ومن اراد الآخرة فعليهِ بالعلم ومن ارادهما فعليهِ بالعلم » . أو هل يدهشنا اخيرًا ان يقوم منا غدًا من يريد انشاء طريق او عمارة بيت فنقع في الحيرة ونتساءل بماذا أُمر الدين

هذا نحن وهذا ما ورثنا فلا غرابة بعد ذلك ان تراثًا كلما عرض فينا نقص يراد استكمالهُ آلات تسبح باسم الدين دون ان يتجاوز ذلك التسبيح الافواه الى الحلاقيم ودون ان نعرف اذا كان الدين حقيقة قد استكمل هذا النقص ثم كيف ارشد الى طريق استكمالهِ . بقي ان نعرف هل في النداء بالدين على هذه الصفة نفع لنا او للدين وهو ما نبحث فيهِ الآن عسى ان يهتدي بهِ قوم يبصرون

هل في النداء بالدين فائدة

عرفت مما تقدم اننا ورثنا من اجدادنا كلمة تسمى « الدين » تصفها السنتنا بكل صفات المدح والكمال ولا نكاد نفهم من حقيقتها سوى بضع عادات وتقاليد انتهبها كلها الفهم السيء والتغالي المضر . فقل لي بربك اي فائدة لنا من النداء بالدين على تلك الحال او اي فائدة اجنناها الدين وقد مضت الايام والسنون ونحن على هذا النداء

دع التعصب للماضي وانظر في الامر بعين غير شوهاء تجد اننا اليوم كما كنا منذ اعوام وكما كنا منذ قرن نضع الدين نصب اعيننا في كل حركاتنا وسكناتنا ونعتقد اعتقادًا راسخًا اننا ما سقطنا الاَّ لسقوط الدين بيننا ويحث بعضنا بعضًا على التفاني في اتباعهِ وقصر حياتنا عليهِ فما الذي استفدناهُ او ما الذي استفادهُ الدين

يخيل لي اننا لم نستفد غير غوغاء المتنا عن النظر في شؤوننا السياسية والاقتصادية حتى اصبحنا نعيش عيشة النبات وكانت سببًا في اتهامنا بالتعصُّب الديني والجهل ورمي الدين الاسلامي الذي اعتقدنا ونعتقد اننا ما سقطنا الاَّ لسقوطهِ بانهُ علة ما نحن فيهِ من التأخر والانحطاط .

هذا هو كل ما استفدناهُ وفي ظني ان نظرة واحدة يلقيها كل باحث في الامة الآن وقبل قرن من الزمان تكفيهِ لكي يقتنع باننا لم نستفد شيئًا آخر

اما ما استفادهُ او يستفيدهُ الدين من النداء بهِ في كل آن ولكل مناسبة فربما توهم الفكر لاول وهلة ان في النداء بهِ حثًّا على التعلق باذيالهِ وترجيحًا للانظار اليهِ ومن هذين يكون انتشارهُ وتمكُّن كلمتهِ في النفوس وتلك هي الفائدة التي يبتغيها لنفسهِ الدين . ولكن هذا الوهم ليس الاَّ سرابًا يغر الانظار والحقيقة التي لا مرية فيها والتي يرشد اليها البحث والعقل ان في النداء بالدين اليوم وهو كما هو من الانحراف عن صورتهِ الاصلية خطرًا عليهِ لا يبعد اذا لم نتداركهُ ان ينتهي بانحلالهِ وضياع اهلهِ في قليل من السنين

كلنا نعرف بان الدين كما هو اليوم قد غيَّرت صورتهُ الاصلية وتلبست بهِ عادات سخيفة اصبحت معها حقيقتهُ ضائعة كل الضياع بحيث يعسر ان يردَّ كثير من احكامهِ المتداولة الى اصل صحيح فيهِ . وما بغريب ان يكون كذلك فان دينًا يجري بهِ اهلهُ على مثل ما جرى اسلافنا من التطرُّف وسوء الفهم قرونًا عديدة يتعذر ان لا تمسخ عقائدهُ او ان تبقى ثابتة غير محرَّفة او مقلوبة . ولعلَّ الذين أشربوا حبًّا اعمى وتشيعًا كاذبًا للدين ينكرون ذلك فكلمتي اليهم ان ينزعوا برهةً من صدورهم بعض ما بها من التشيع ويمعنوا انظارهم في من تسميهم حملة الدين وتمثلهُ في اشخاصهم عساهم اذا فعلوا ذلك ان تزول غشاوة التشيع عن ابصارهم فيقفوا على الحقيقة

من هم اولئك الحملة وفي مَن تتجسم صورة الدين ؟ افي طلبة بعض مدارسنا وهم لم يقبلوا علوم الجغرافيا والرياضة والتاريخ الاَّ بعد اللتيا والتي ؟ ام في العلماء واكثر من نعلم منهم من اذا جاء من الصلاة ميعادها بسمل وحوقل وتوضأ وقام وركع وسجد ثم اذا خرج عن ذلك كلهِ وجدتهُ العابد للدرهم القليل العلم الضعيف العقل المغلوب على امرهِ المدخول عليهِ حتى في دينهِ؟ ام في طائفة الفقهاء وهذه الامثال لا تضرب الاَّ بهم في كل خلة لا يتصف بها المميزون من الاطفال؟ ام في الامة نفسها وهي لا تعرف من الدين غير رفع الصوت والجهر بالصلاة والتسليم على النبي عند ذكر اسمهِ في كل مقال ؟ ام في غير هؤلاء وليس في البلاد من نعرف سواهم

اذا عرفت هذا وعرفت ان الامة الآن في الدور الاول من نهوضها فاي خطر على الدين اعظم من تنبه العقول اليهِ وهو كما هو يوم تشط الافهام وتهم النفوس مسترشدة بنور العلم الصحيح فتلتفت الى جانبها وترى الدين كما وصفناهُ وقد صار اكثرهُ مجموع عادات وتقاليد انتجها الفهم السيء والتغالي المضر الا تكون النتيجة الطبيعية ان تنفر منهُ العقول لاعتبارها اياهُ نقصًا وعيبًا بل حجر عثرة في سبيل التقدم واتساع الافهام

لدينا في التاريخ مثل من هذا القبيل لو اردنا لجعلناهُ عظة لنا نتعظ بها عسى ان ندرأ عنا الخطر الذي نحن عليهِ قادمون . هذه بلاد اوربا كان اهلها قبل العصر الذي يسمونهُ عصر النهضة والاصلاح مستمسكين بعرى الدين المسيحي متشيعين لكل ما يأتي من جانبهِ فما زالوا يتغالون ويتطرفون حتى انتهت بهم الحال الى حصر الدين برمتهِ في الكنيسة ولم تمض على ذلك سنوات حتى اصبحت الكنيسة صاحبة التصرُّف المطلق فيهم توجههم الى الحروب الصليبية فيعانون المشاق ويكابدون الاهوال ويهلكون الوفًا ومئات الوف حبًّا في الدين ثم تستأثر بالاموال فلا تجد منهم الاَّ مذلين خاضعين يقدمون اليها اموالهم باسم الغيرة على الدين . ثم تستولي على الكتاب المقدس وتحرم على غيرها فهمهُ وتفسيرهُ فيتلقون اوامرها بالرضى والطوع عملاً باوامر الدين . ثم تقف امام العلوم مخافة ان يكون فيها ما يخالف الدين . وما زالت على حالها تتشبث في كل يوم على الدين باسم الدين والناس لا يعرفون الاَّ كلمات تسمى الدين يتفانون في جهاد الغيرة عليها حتى اخذ شعاع العلوم ينفذ الى الاذهان وابتدأ دور النهضة فقام القسوس وقعدوا آخذين بتلابيب الامة باسرها ينادونها الدين الدين اطلبي الكمال والرقي والنهضة من جانب الدين . وظلوا يصدعون آذانها بهذا النداء حتى تنبهت العقول ونظرت الى الدين كما صوَّروهُ لها فنبذهُ البعض وضعفت سلطتهُ عن البعض الآخر

وها نحن اليوم نرشك ان نضع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل . نعرف يقينًا ان ديننا قد تلبس بعادات وتقاليد سخيفة الصقتها بهِ القرون الغابرة وان ليس فينا من يتلهُ حق تمثيلهِ ثم نجدنا تكاد اصواتنا تبح من النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ نريد بذلك ان نجعل حياتنا ونحن الآن في القرن العشرين قرن العلم والعمل والمزاحمة وقفًا على استخراج الحقائق من بطون مؤلفات عتيقة ابلاها الدهر وابلى انكار ذويها ثم تقليد بعض السلف من اجدادنا في افعال ان هي ناسبت عصورهم فمحال ان تناسب العصر الذي نحن فيهِ

مضت ازمان طويلة تعبت فيها ألسنتنا من كثرة الحث على اتباع الدين واعتبارهِ كافلاً برقينا وسعادتنا فمن منا اجاب هذا الحث وانَّا التفت اليهِ وقام يعلِّم الناس كيف تنفع النصيحة وتثمر العمل الصالح ؟ لعلنا لكثرة ما استولى على عقولنا وافهامنا من الذهول ثم لشدة ما أُلقي على ابصارنا من الغشاوات لم نعد ندرك ونرى ان كثيرًا منا اغلبهم المتربون والمتعلمون الذين لهم المستقبل وعليهم الاعتماد قد بدأت تعتريهم الشكوك والوساوس واخذت الظنون الكثيرة ترد على افهامهم حتى اذا حاولوا ان يطردوها لم يزدها ذلك الاَّ تغلبًا على مدركاتهم وتأصلاً في اذهانهم ؟ نعم لقد ذهلنا حتى لم نشعر بما يجري حوالينا وغرَّتنا الاكاذيب والترهات فظننا

أن في النداء بالدين وهو كما هو احياء لهُ وبثًّا لقواعدهِ الصحيحة فما زلنا قائمين على هذا النداء حتى اصبحنا الان فاذا النتيجة معكوسة واذا نحن لاهون لانعرف الخطر الذي نحن عليهِ قادمون

ألا فلنعرف ولو ساءتنا هذه المعرفة اننا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب قد اوصلنا الدين اليوم الى حال ان استمرَّت ولم نقف في طريقها ادَّت ولا محالة الى زوالهِ . لنعرف ذلك ولنفقه جيدًا انهُ وان لم يبدُ لذلك اثر ظاهر للآن فما هو الاَّ لان حرب التنازع بين الاعتقاد الموروث والشكوك العارضة لا تزال في بدايتها وليس ينتظر من شكوك حادثة ان تنوز على اعتقاد موروث الاَّ بعد جهاد طويل فالعقول الآن تتسرَّب اليها الشكوك وتأخذها الريب فتجاهد لردها وهي كلما ردَّت منها واحدة جاءت واحدة فلا تزال كذلك حتى يمسها التعب وينالها الكلال فلا تجد مخلصًا منها الاَّ ان تتركها وتترك البحث فيها راضية بالتسليم للدين ظاهرًا تبعًا لحكم الوراثة . ولئن بقينا على تلك الحال زمنًا ليأتينَّ يوم يمحي فيهِ اثر الوراثة وتقوى الالسنة على ترديد ما يختلج في الضمائر فينادي فينا جهارًا بان الدين امسى ممتزجًا بالشوائب فيجب ان ينبذ ولتجدنَّ اكثرنا يومئذٍ سامعين مصدقين

لا يقولنَّ مندفع الى اريد بهذا ان يُترَك الدين جانبًا فعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او ان يخطر على فكري شيءٌ منهُ . انما اريد ان يلبس الدين بيننا ثوبهُ الحقيقي ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظرهُ الابصار فيعجبها جمالهُ وتسرها حقيقتهُ . اريد ان ترمى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تلبست بالدين بعيدًا ليعود خاليًا من الشوائب يتَّسع المجال فيهِ للفهم السليم والنظر الصحيح . اريد ان تحفظ للدين كرامتهُ فلا يجعل هدفًا لكل متشدق مغرور يتجر بالمناداة بهِ على جهل ولغير داعٍ . اريد ان تحمى من بيننا آثار التغالي والتشيع فنعلم ان القرآن لم ينزل الاَّ بقواعد عامة للناس جميعًا فلنا ولكل امة ان تتصرف في مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حجر على الافهام الاَّ ما يخرج عن الدين . اريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية او حديثًا يعارض معناها شيئًا من العلم فان الدين لم ينزل ليعلّم الناس العلم او لينافي العقل في شيءٍ حتى يعارضهما ولو في بعض الاحايين . اريد اخيرًا ان لا نكثر من الصياح باسم الدين حتى لا تلتفت العقول الناشئة اليهِ قبل ان يظهر في ثوبهِ الحقيقي لئلا تنفر منهُ ونكون قد جنينا من حيث طلبنا الفائدة

هذا هو كل ما اريدهُ نشرتهُ لتطلع عليهِ الامة عسى ان تلتفت اليهِ وتنظر فيهِ فتعلم انها موشكة ان تقدم على خطر لا ينجيها منهُ الاَّ شدة الاحتراس والحذر . ولعلي لا اعدم من يسفهون رأيي ويتهمونني للامة ودينها بالخير من وراء الحركة الحالية اخذًا بظاهر قولهِ تعالى

« انا نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون » فكلمتي الى هؤلاء ان يضع الله في آجالهم مئة عام لينظروا باعينهم ماذا يكون يومئذٍ من امر الدين اذا نحن لم ندرأ الخطر . والله اسأل ان يوفقنا الى اقوم طريق

عبد القادر حمزه
المحامي

الاسكندرية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا او علم الانسان — لم يتقدَّم كثيرًا في غضون العام الماضي ولكن كان خطبة الاستاذ كارل بيرسن التي خطبها تذكارًا للاستاذ هكسلي شان كبير لانهُ بحث فيها عن وراثة الصفات العقلية والادبية . واتجهت افكار علماء هذا الفن الى البحث المدقق في احوال اهالي جزائر البحر قبل انتراضهم . واكتشف المستر بيدنل كثيرًا من قطع الظران في صحراء الفيوم حول موقع بحيرة قديمة ترجح منها وجود الناس في القطر المصري في العصر الحجري القديم (بليوليثك) لكن بعض العلماء ينفون ذلك

الفلك — اهمُّ ما حدث في العام الماضي ازدياد الاضطراب في الشمس وظهور الكلف الكبيرة فيها كما وصفنا ذلك بالاسهاب في الجزء الاخير من السنة الماضية ويقول الاستاذ نيوكم ان معظم هذه الكلف سيكون في الشهرين الاخيرين من هذا العام اي في نوفمبر او دسمبر

والابحاث الجديدة في نور الزهرة تؤيد ما قيل قبلاً من انها تدور على نفسها مرةً كل ٢٢٥ يومًا . وارتأى اثنان من العلماء ان الخطوط التي ترى على وجه المريخ خطأٌ في العين فانهُ اذا وجدت نقط منفصلة على سطح ونُظر اليهِ عن بُعد رأت العين خطوطًا تصل بين تلك النقط واثبتا ذلك بالامتحان . ورئيت بقع كبيرة منتشرة على الجانب القطبي الشمالي من زُحل وظهر انها تدور معهُ دورة كاملة كل عشر ساعات و٣٨ دقيقة مع ان زُحل يدور على محورهِ مرة كل عشر ساعات و١٥ دقيقة بحساب الاستاذ هول . وبلغ عدد النجيمات المكشوفة حتى آخر السنة بين المريخ والمشتري ٥٩٠ نجيمة وقد وجد المسيو كالندرو ان اهليلجيَّة النجيمات البعيدة عن الشمس اكثر من اهليلجيَّة النجيمات القريبة منها . واكتشف الاستاذ جياكوبيني مذنَّبًا في الخامس من شهر يناير قرُب بَعْد ذلك حتى صار يرى بالعين . واكتُشف مذنب آخر في زيلندا الجديدة في ٢١ يونيو اقترب في يوليو حتى صار يرى بالعين ايضًا وكان لهُ نواة واذناب كثيرة طال احدها حتى بلغ طولهُ ثماني درجات ونصف درجة . وحقق المسيو بروتين سرعة النور ١٨٩٢٢٥ ميلاً